

العربـة والاسـلام بـيـن الـفـاتـحـة وـالـحـاضـرـة

استاذ التاريخ في كلية الالفات
 (جامعة طب)

ابسا طقوس العبادة : فلكي يصبح الانسان ملماً
صحيحاً كان عليه ان يدرس القراءان ويتعلم آياته
الكريمة ومختلف الادمية وسوهاها من العبارات
الدينية التي تقالثناء الصلوة وكلها عربية .

الى هنا يظهر ان ثمة سببية بين الاسلام وانتشار اللغة العربية . غير ان ذلك ليس كافيا لابات انه لولا الاسلام لما تأسى للغة العربية ان تنتشر في العالم وأنه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ، للأسباب التالية :

لا يستطيع الباحث ان يدللي برأي جازم في موضوع السببية بين الاسلام واللغة العربية ، بل يمكن ابداء ملاحظات منها ما هو في جانب الفكرة او شدتها .

وَمَا هُوَ فِي جَانِبِهَا :

١ - ان الاسلام - اثناء نشره ابان حركة الفتوح العربية في مختلف المصور - كان وسيلة احتكاك ولا شك . كان للاسلام دوره التاريخي ، ذلك ان الرغبة في نشره ، حتى يعم العالم ، كانت احد الاسباب في دفع العرب الى حركة الفتوح . وهنا تبدو الملازمة بين نشر الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لأن المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم مهام الفتوح هرب ، دينهم عربي وقرنه لهم هرب ، ورجال دولتهم عرب ، والدولة التي تكونها عربية اسلامية ، وتسمى الوظائف كان يتضمن معرفة اللغة العربية ، مما دعا الشعوب الاجنبية (الاجنبية) التي انضمت تحت الرابة العربية الاسلامية الى تعلم اللغة العربية لكي ينال لها الاصحاح في خدمة الدولة . واكثر من ذلك فان الحركة الطلبية التي شجعها العرب واخذوا على عاتقهم تسييئتها قد اضطاع بها - في بادئ الامر - الناس من اصل فبر عربي امتهنوا الاسلام وتعربوا . وهنالك

د - وقد يكون النشاط التجاري الصرف من نشر لغة القائمين به ، مثال ذلك تغلب لغة الآراميين في سوريا على لغات بلاد الشام المجاورة لها بسبب نشاط تجارتهم حتى أصبحت اللغة الآرامية لغة هامة في المراسلات التجارية وغيرها في جميع المالك المجاورة لمملكة الآراميين في التاريخ القديم .

وهناك أمثلة من الواقع العربي ثبت أن انتشار الإسلام غير كاف لوحده لانتشار اللغة العربية من ذلك :

أ - من الواضح أن هروبة المغرب العربي لم تكتمل - إن حركة الفتوح العربية الإسلامية ، بالرغم من امتناع معظم أهله للإسلام طول أربعة قرون تقريبا - إلا بعد هجرة قبيلتي بني سليم وبني هلال العربتين من الشرق العربي إلى المغرب واستيطانهما ربوته في القرن الحادي عشر الميلادي .

ب - ومع هذا لا نزال نشاهد في المغرب العربي هذه الظاهرة : أن المنصر البربروي في شمال البربرية العربية يكثر مدهه كلما اجئناه فربما من برقة إلى مدينة مراكش وجنوباً من الساحل إلى الصحراء - أي كلما ابتدأنا عن الراzier العربية - وإن المنصر البربروي في مراكش يصلح قرابة ثلث السكان ، وهو يكثر هادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها ، وهي المناطق البعيدة من المحيط العربي الصرف ، ويقل تعبيره في المدن حيث امتد بالسكان العرب انتزاجاً تماماً أقرب ما يكون إلى الانصمار . فاللغة البربرية لا تزال حية ، إذ لا يزال هناك من يتكلّمها لوحدها و من يتكلّمها إلى جانب العربية ، وربما يكون هناك من البربر نسبة تتراوح بين 10 - 14٪ تتكلّم البربرية والعربية معاً ، ونسبة تتراوح بين 10 - 20٪ لا تتكلّم سوى اللغة العربية (بناءً على أحصاء قدّيس) وقد تكون النسبة أقل من ذلك (ان)

كما أنها نشاهد في الجزائر جزءاً ببربرية ، إلا أن افرادها مزدوجو اللغة حيث يتكلّمون البربرية والعربية . والذى تجدر ملاحظته أن من يسكن منهم في الجزائر شديداً التعرّب لسهولة المواصلات مع الأماكن التي يقطنها العرب . مما يستنتج منه أن زيادة الاختلاط بين البربر والعرب هو العامل الحاسم في تعريبهم مع أنهم مسلمون منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . وإذا عدنا إلى التاريخ نجد أن نرسن

أ - انتشر الإسلام إبان حركة الفتوح على اقطار كثيرة أصبحت الآن خارج العظمة العزيزة : مثل الاندلس ، إيران ، أفغانستان ، تركستان ، السندي (الباكتستان) . لكننا نشاهد الآن أنها أصبحت بعيدة من العروبة لغة الله لهم إلا بقاء بعض التأثيرات الغربية التي لا نزال نشاهدها في لغة سكانها الأصليين ، وذلك في نفس الوقت الذي بقيت فيه محافظة على إسلامها باستثناء الاندلس . والسؤال الذي يطرح في هذه المناسبة : لو أن الفتح العربي والوجود العربي بقيا مستعمرتين فيما لم يكن ممكناً أن تبقى هروبيتها وطيدة ، ولتصبح اللغة العربية لغتها الصيغة كما جرى بالنسبة للمغرب العربي ومصر وببلاد الشام والعراق ؟ - ليس من شك في ذلك أذن . إلا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن بقاء سلطان العرب بما يتبعه من حركات استيطان للقبائل العربية في هذه الربوع هو الكفيل بدوام هروبة هذه الاقطاء ؟

ب - سؤال آخر : لو أن الإسلام لم يكن بين العوامل الأخرى التي دفعت العرب إلى حركة الفتوح ، أو بتعبير آخر لو كان هناك حاكم تركي آخر غير الإسلام قد رافق الأسباب التي دمت إليها ، واستقر العرب بنتيجة ذلك في الأقطار السابقة الذكر المفتوحة وغيرها ، الم يكن من الممكن أن تبقى اللغة العربية هي لغة سكانها ؟ إن الأمثلة الشبيهة بذلك متوفرة بالنسبة إلى المالك الأوروبية ففرنسا التي تحملها الأنورنج فأصبحت الفرنجية اللغة (أي فرنسية) ، وإنجلترا التي فتحها الأنجلوسكسون فأصبحت لغتها الإنجليزية ، وأمريكا الشمالية التي استوطنها الإنجليز إن حركة توسيع استعماري فأصبحت لغتها التكليزية ، مع أن الداعي إلى نشوء هذه المالك لم يكن هو نشر الدين .

ج - وهناك أمثلة كثيرة أخرى في التاريخ القديم والوسطى والحديث ثبت أن انتقال قبائل برمتها ، أو جزء كبير من شعب ما ، من وطنه إلى وطن آخر ، وتغلب نسبة البشرية على نسبة سكان البلاد المستوطنة ، يكون عاملاً من عوامل طبيع المنطقة المحتلة بلغة الشعب القادر ، لا سيما إذا كانت لغته تمثّل بالأسلالة والعيوبية والتلقوّق على لغة السكان الأصليين - كما هو شأن اللغة العربية بالنسبة للغات المحيطة التي احتلّها العرب .

يتويان ويضعان بما لها يعترى لغة الصاد من
قوه وضعف او ان العكس بالعكس :

لغتلتادي - بحسب ملاحظاتي - ان ذلك فيبر
وارد بتاتا ، ولا صلة سببية بين الواقع الديني ولغة
الصاد .

ومن حيث المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة
العربية في بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فمما لا
شك فيه ان المكانة الاولى يجب ان تحتلها اللغة العربية
بالنسبة للغات الاجنبية . وان كان علينا ان نولي
اهتمامنا باللغات الاجنبية فلابد الاستفادة من تعلمها
في اقتضاس العلم والتكنيك من الترب اي دفع طلابنا
ومنتفعينا الى تعلمها واقناعها ليسهل عليهم متابعة
دراساتهم العلمية في بلاد الغرب والاطلاع على المراجع
والمؤلفات الاجنبية بكل سهولة ، حتى نتمكن من
الاستفادة والافادة .

الاحتلال بين هذين الشعبيين كانت من الامور التي
سامدته على الاستمرار مثل اشتراكهم في الحملات
كحملة طارق بن زياد على الاندلس وما تبعها من
حملات، واستيطان العرب والبربر مما في الاندلس .

ولاحظ الامر نفسه بالنسبة للأكراد في العراق
وسورية ، حيث نجد ان سكان المدن منهم منصررون
مع المنصر العربي وتکاد لا تفرق واحدا من
المنصرين عن الآخر كما هو الامر في دمشق ، بينما
نرى ان سكان الجبال والقرى النائية الواقعة على
الحدود التركية والإيرانية لا يزالون متمسكين بلغتهم ،
ولا يعرف العربية الى جانبها سوى القلة المثقفة منهم
مع انهم ايضا مسلمون .

* * *

اما من حيث ان الوعي الاسلامي والواقع الديني